الانسان والحيوان والحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

حركة !

إذن هو الخطر بعينه !

وهل فى موقف الحراسة من الميدان حركة لها أمان ؟ ...

كلا . بل هو الخطر جد الخطر على الحارس وعلى من يحرسهم ، وهم مئات ألوف .

ثم حفيف بين العشب !

فهو الخطر إذن يقترب ، وهو الانتباه أشد ما يكون انتباه ، والاستتار أخفى ما يكون استتار !

وانبطح الحارس وانتظر ، ولمعت عينان على مقربة ، فإذا بالحارس كله عيون ، لو قتل إنسان شيئاً بنظرته لمات صاحب تينك العينين فى جنح الظلام !

وسدد الحارس الرامية ، ومضت العينان تدنوان وتدنوان ، وأوشكت القذيفة أن تنطلق لولا أن انطلاقها محظور لغير الخطر المحقق القريب ، مخافة الانتباه من جانب الأعداء إلى موضع الحراسة وموضع المعسكر ، فلا مناص من انتظار .

ثم بدا صاحب العينين برأسه وبشخصه :

الحمد لله ...

هو كلب ... وليس بإنسان !

* * *

تلك خلاصة قصيدة انجليزية من قصائد الجنود فى حرب الدردنيل الماضية .

حمد الشاعر ربه لأنه كان يحذر فصيلة الإنسان دون الفصائل جميعاً من عالم الحيوان ، فهو من أخيه الإنسان على أخطر الخطر فى ذلك الظلام ... أما عالم الحيوان جميعاً ، فهو منه فى أمان !

لم أقرأ هذه القصيدة قط إلا ذكرت شاعرنا العربى حين يقول :

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطير

نعم . وأصدق ما يكون ذلك فى مقام حراسة وفى ميدان قتال !

ثم قامت الحرب الحاضرة ، فإذا ببطل من أبطال الحيوان ، يملأ ذكره فى كل ميدان ، ويستوحيه القصائد والألحان !

ذلك توني المنسوف

أو هو بالإنجليزية Tawny The Torpedoed

أتعرفه ؟

لم أزدك به معرفة على ما يظهر ، فاعلم أنه قط من مشاهير القطط فى الدنيا ، أو هو الآن من مشاهيرها بعد أن لم يكن على بال أحد غير أصحابه وعشرائه قبل بضعة أسابيع

كان يومئذ فى سفينة انجليزية أغرقتها الغواصات على مقربة من شواطئ السويد ، وبصر به جندى فى الماء فعاد إليه ونجاه ولم يحفل بما يصيبه من مكامن البحر « اللغوم » فى سبيل هذه النجاة : نجاة توني المنسوف !

وضبطه رجال الميناء ميناء جوذنبرج فاعتقلوه ، وقرروا إبادته فى الحجر كما يصنعون بالحيوان من قبيله إذا خيفت منه العدوى أو احتاج أمره إلى الرقابة والتمحيص . وأين هى الحكومة التى تنفق على حيوان طريح من طرائح البحر حتى ينجلى الشك فيه ، فإما سليم فيرسل ، وإما مصاب فيباد !

يباد ؟

إن الجنود الذين أنقذوه من الغرق لم ينقذوه من الماء ليقذفوا به إلى النار المحرقة أو إلى السم الزعاف

فلن يباد توني المنسوف ، وفى أولئك الجنود بقية من دماء

واتصلت المشكلة بالصحيفة الوقور التى أسماها بعضهم بالدولة المستقلة ، وهى صحيفة « التيمس » اليومية

فكُتبت الحياة لتوني المنسوف !

وتقاطرت الهبات على ميناء جوذنبرج للإنفاق على ضيفها المضنون به على غير أهله ، طوال مدة الرقابة الصحية وعدتها ستة شهور

وجاشت قرائح المصورين وقرائح الشعراء

فظهرت فى الصحيفة صورة « توني » على لوحة تغوص وتطفو بين اللجج الزبدات ، والحطام المتناثر من الأحياء والأموات

وعلى رأسه طيارات ، ومن حوله غواصات ، وهو بينهن

كأشجع ما يكون الشجعان من البطولة والثبات !

وكتب شاعر تحت الصورة هذه الأبيات :

« المخلوق الضعيف القليل النصير فى ألعوبة من ألاعيب الأقدار، يبدو أنها ختام ما قدّر له من وجود

« تولته صداقة « انتيمس » فامتدت به حبال الأجل الممدود

« ووثب من ذراعى الموت إلى أحضان الشهرة والخلود

« لقد كان مجهولاً لا عنوان له بين قطط العالمين

« فارتقى سلم الشهرة قفزة واحدة إلى مكانها المكين

« مذكور الأحزان والأشجان بين الناس، معروف الشجاعة على كل لسان مبين ، من المادحين والمعجبين

« والآن تتلقى أنباءه أمواج الأثير ، وهو قابع فى المحجر مستتر أمين

« يشرب اللبن ويستطعم الغذاء، ويلعب ويطرب ويستكين

« وعلى ضفاف السويد من خليج بوهاس الجميل الموصوف

« ينتهى منظر القصة المنظومة، وتبتدئ شهرة تونى المنسوف

« وتسرى على « الكانيجات » أنفاس الخضم ، وآهات الخريف ! »

* * *

اقرأ هذه القصيدة الظريفة وقل معى : يا لذلك القط من حيوان مجدود !

بل قل معى: يا للانسان من حيوان مكدود منكود !

ولا تعجب أن تكون هذه عنايته بقط مسكين ، وفى العالم حرب ضروس تنذره بهلاك الألوف أو الملايين

أو إن عجبت فاعلم أننى لا أعجب مما أرى وأسمع من أشباه هذه الأنباء ، ولا أراها أهون ولا أهزل من أن تشغلنا بعض الشغل فى هذا البلاء أو عن هذا البلاء

فأهون ما فيها أنها لا تيئس من العاطفة الإنسانية ، وأنها تزيدنا علماً بسرائرنا النفسية ، وأنها توازن ما فى الحرب كلها من عداء ، بما فى ودائع القلب الآدمى من شغف بالمودة وحرص على الولاء ، وشوق إلى الوفاء

* * *

إن عداء الحرب لا يستنزف ما فى النفس من ينابيع الرحمة بل ينبش عنها فى الأعماق فيرسلها على شتى الصور وأغرب المناسبات .

فكلما اشتد العداء كان اشتداده مدعاة إلى اشتداد البحث عن جانب المودة والرفق ، وجانب الألفة والمعونة ، وجانب الطمأنينة إلى ملاذ فى قرارة الحياة

ولهذا تعظم الحرب لأنها تشمل الملايين من أفراد السلالة الآدمية .

وتعظم إلى جانبها حادثة « تونى » الضعيف لأنها تشمل نفس الإنسان ، أو تشمل جميع بنى الإنسان

* * *

ونحن بصدد الحيوان والإنسان فلنختم هذا المقال بقصة طريفة من قصص هذا المقام

على الصفحة الأولى من الصحيفة الإنجليزية المصورة « اللسترائد » Illustrated رسم كبير لكلب من فصيلة « البول دوج » المشهورة بين الإنجليز وعلى رأسه قبعة من قبعات الجنود

ومناسبة هذا الرسم أن « المذياع الألمانى » أشاع فى الشهر الماضى أن الغواصات الألمانية أغرقت « السفينة » كستريل Kestrel وليست هى بسفينة ولكنها نقطة تدريب برية يختبرون فيها سلاح السفن ويتبعونها من أجل ذلك لوزارة الشؤون البحرية

فلما شاع هذا النبأ المضحك بين جنود تلك النقطة نقله الجندى الذى يخلع قبعته على كلبها المحبوب إلى ذلك الكلب الغافل عن مذياع الألمان ودعوة الألمان ، وقال له مازحاً :

أتدرى يا بوللى أنك الآن فى عداد الأموات وفى سجل الغرق ؟ هكذا يزعم جوبلز يأيها الميت الذى يدعى الحياة !

قال الراوى : فزجر بوللى غاضباً : « ومن هو جوبلز ؟ »

والحق أن بوللى ليقولها ويقول ألفاً من قبيلها ! . . .

نعم . . . ومن هو جوبلز ؟

ولهذا السؤال ولا ريب معناه !

عباس محمود العقاد

معهد التناسليات تأسيس الدكتور مأجنوس لقير شفلر فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع الرابغ تليفون ٥٢٥٧٨ يعالج جميع أمراض الزهريات والأمراض السرية والتناسلية والعقم عند الرجال والنساء وضعف الشباب والشيخوخة المبكرة. ويعالج بصفة خاصة: زيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملاحظة: يمكن إعطاء نصائح بالمراسلة للتعميد بعد أخذ القاعدة بتصوير إعلان بجريدة الأسبوع البحرية المصرية على ١٤١ سوارع التى بكان المصرف عليها نظير ٥ قروش